[تَحْذِيرُ أَهْلِ الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ، مِمَّا فِي الدَّيْنِ مِنَ الْمَهَانَةِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، شَرَعَ الدَّيْنَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُحْتَاجِينَ، وَأَوْجَبَ الْوَفَاءَ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُــهُ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، حَذَّرَ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي الدَّيْنِ عُقَلَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَكْرَمِينَ، وَمَنِ اِقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ جَاءَ دِينُ الْإِسْلَامِ بِحِفْظِ الْحُقُوقِ وَصِيَانَتِهَا، فَحَرَّمَ كُلَّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْتَهِكَ حُرْمَتَهَا، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ. وَإِنَّ مِنْ أَخْطَرِ وَسَائِلِ الِاعْتِدَاءِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ: اَلتَّسَاهُلَ بِالدَّيْنِ وَعَدَمَ الْوَفَاءِ بِهِ، وَالْوَاقِعُ أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى مَا نَقُولُ، لِذَلِكُمْ سَيَكُونُ عُنْوَانُ خُطْبَتِنَا لِهَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى هُوَ: تَحْذِيرُ أَهْلِ الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ، مِمَّا فِي الدَّيْنِ مِنَ الْمَهَانَةِ، وَسَيَنْتَظِمُ كَلَامُنَا حَوْلَ هَذَا الْعُنْوَانِ فِي ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ:

اَلْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ: مَفْهُومُ الدَّيْنِ وَحُكْمُهُ وَفَضْلُهُ، فَالدَّيْنُ فِي الِاصْطِلَاحِ الشَّرْعِيِّ هُوَ: اِسْمٌ لِمَالٍ وَاجِبٍ فِي ذِمَّةِ الْإِنْسَانِ. وَعَمَلِيَّةُ التَّدَايُنِ بَيْنَ النَّاسِ مَشْرُوعَةٌ فِي الْأَصْلِ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ... إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ. وَتَوْثِقَةُ الدَّيْنِ بِإِحْدَى هَذِهِ الطُّرُقِ الثَّلَاثَةِ (اَلْكِتَابَةِ، أَوِ الْإِشْهَادِ، أَوِ الرَّهْنِ) إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْبَابِ، حَتَّى لَا يَكُونَ الدَّيْنُ عُرْضَةً لِلنِّسْيَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ. وَالدَّيْنُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ يَدْخُلُ ضِمْنَ عِبَادَةِ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ وَتَنْفِيسِ الْكُرُبَاتِ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبةً من كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.

اَلْعُنْصُرُ الثَّانِي: عَاقِبَةُ الْإِفْرَاطِ فِي الِاسْتِدَانَةِ، فَرَغْمَ أَنَّ الِاسْتِدَانَةَ مَشْرُوعَةٌ فِي الْأَصْلِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَشْرُوعِيَّةَ لَيْسَتْ عَلَى إِطْلَاقِهَا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْعَاقِلِ أَنْ لَّا يُقْدِمَ عَلَى الِاسْتِدَانَةِ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ الْقُصْوَى، وَإِنْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِسَدَادِهَا فِي آجَالِهَا الْمُعْلَنَةِ، وَمُعَوِّلًا عَلَى أَدَائِهَا فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ مُمْكِنَةٍ، لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ مَا فِي الدَّيْنِ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ، وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ، فَإِنَّهُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ، وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَإِنَّمَا كَانَ الدَّيْنُ شَيْئًا وَمَذَلَّةً لِمَا فِيهِ مِنْ شَغْلِ الْقَلْبِ وَالْبَالِ، وَالْهَمِّ اللَّازِمِ فِي قَضَائِهِ، وَالتَّذَلُّلِ لِلْغَرِيمِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَحَمُّلِ مِنَّتِهِ بِالتَّأْخِيرِ إِلَى حِينِ أَوَانِهِ، وَرُبَّمَا يَعِدُ مِنْ نَفْسِهِ الْقَضَاءَ فَيُخْلِفُ، أَوْ يُحَدِّثُ الْغَرِيمَ بِسَبَبِهِ فَيَكْذِبُ، أَوْ يَحْلِفُ لَهُ فَيَحْنَثُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَلِذَلِكُمْ جَاءَ فِيمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ كَثِيرًا: اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ – أَيْ: اَللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ وَالدَّيْنِ - ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ كَثِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ (أَيْ: إِذَا اسْتَدَانَ) حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ.

نَفَعَنِي اللَّـــهُ وَإِيَّاكُـــمْ بِكِتَابِـــهِ الْـمُبِيـــنِ، وَبِسُنَّـــةِ نَبِيِّـــهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيـــمِ، وَأَجَـــارَنِـي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِـــهِ الْـمُـهِينِ، وَجَعَلَنِـي وَإِيَّـــاكُـــمْ مِنَ الَّـــذِينَ يَسْتَمِعُـــونَ الْقَـــوْلَ فَيَتَّبِعُـــونَ أَحْسَنَهُ آمِينَ، وَآخِـــرُ دَعْـــوَانَا أَنِ الْـحَمْـــدُ لِلَّـــهِ رَبِّ الْعَالَمِيـــنَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّـهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

اَلْعُنْصُرُ الثَّالِثُ: عَاقِبَةُ التَّهَاوُنِ بِالدَّيْنِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَّا يُبَالِي بِالدُّيُونِ الَّتِي أَثْقَلَتْ كَاهِلَهُ، وَلَا يَهُمُّهُ إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى أَمْوَالِ عِبَادِ اللَّهِ، وَهَذِهِ جَرِيمَةٌ مُنْكَرَةٌ، تَرْفُضُهَا نُصُوصُ الشَّرْعِ الْمُتَوَاتِرَةُ، وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ فِي الْآخِرَةِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ، فَقَالُواْ: صَلِّ عَلَيْهَا، فَقَالَ: هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟ قَالُواْ: لَا، قَالَ: فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟ قَالُواْ: ثَلَاثَةُ دَنَانِيرَ، قَالَ: صَلُّواْ عَلَى صَاحِبِكُمْ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَلَيَّ دَيْنُهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. فَاتَّقُواْ اللَّهَ – أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ -، وَلَا تُقْبِلُواْ عَلَى الدَّيْنِ الشَّرْعِيِّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُضْطَرُّونَ، وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

هَذَا؛ وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ – عِبَادَ اللَّهِ – عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنِّعْمَةِ الْمُسَدَّاةِ، سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، خُصُوصاً اَلْأَنْصَارَ مِنْهُمْ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَعَنْ آلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ، اَللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِمْ، وَاحْشُرْنَا يَا مَوْلَانَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَلَا تُخَالِفْ بِنَا اللَّهُمَّ عَنْ نَهْجِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ يَا أَكْرَمَ مَسْؤُولٍ وَيَا خَيْرَ مَأْمُولٍ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ قَلَّدْتَهُ فِي الْأَرْضِ أَمْرَ عِبَادِكَ، عَبْدَكَ الْخَاضِعَ لِجَلَالِكَ، الْمُعِزَّ لِدِينِكَ وَسُلْطَانِكَ، ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين نَصْراً عَزِيزاً تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَقِرَّ عَيْنه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، وَشُدَّ أَزْرَهُ بالوزارء وأمراء المناطق، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ،اللهم اقض عنا الدين وأغننا من الفقر ، اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحَ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، اَللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا، وَاسْتُرْ عَوْرَتَنَا، وَآمِنْ رَوْعَتَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَسَائِرِ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُحِبِّينَ لَكَ وَلِرَسُولِكَ وَلِكِتَابِكَ، وَمِنَ الْمُتَحَابِّينَ فِيكَ، وَحَبِّبْ إِلَيْنَا كُلَّ مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ، رَبَّنَا اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا نَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا

وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ